

الفرج بعد الشدة

[193] كأنى واقف بين يدي المهدي وهو يسألني عن حالي وأنا أشكو إليه ما نكبنى به الرشيد وأنهيت حالي إليه وأقول: ادع عليه يا أمير المؤمنين فكأنه يقول: اللهم أصلح ابني هارون. يكررها فكأنني أقول له يا أمير المؤمنين: أشكو اليك ظلم هارون لي واسألك أن تدعو عليه فتدعو له. فقال لي: وما عليك إذا أصلحه الله لك ولكافة أن يبقى على حاله هو ذا أمضى إليه الساعة وأمره أن يرجع لك ويقضى دينك ويوليكَ جند دمشق فكأنني أومى إليه بسبابتي وأقول له دمشق. دمشق استقلالاً لها ؟ ! فكأنه يقول حركت مسيحتك استقلالاً لدمشق إنها رؤيا. وكيف قل حظك منها كان في العاقبة أجود لك. فانتبهت وأحضرت مؤدباً كان لي في أيام المهدي فسألته عن المسبحة فقال: كان عبد الله بن العباس يسمى السبابة بالمسبحة فما سبب سؤالك أيها الأمير عنها ؟ فقصصت عليه الرؤيا وأمتنع النوم عني، فأخذ يحدثني وأنا جالس في فراشي إذ جاءني رسول الرشيد فارتعت له ارتياحاً شديداً ولم أعبأ بالمنام، وخفت أن يكون يريدني بسوء يوقعه بي فخفت وقلت أدافعه إلى أن تطلع الشمس ثم أدخل عليه نهارة فان كان أراد بي غيلة لم تتم. فتقاطرت رسله حتى أعجلوني عن الرأي واضطروني إلى الركوب في الحال فدخلت عليه وأنا شديد الجزع، وهو جالس في فراشه ينتحب فلما رأني قال سألتك بالله يا أخى هل رأيت الليلة في منامك شيئاً ؟ قلت: نعم. الساعة رأيت المهدي فلما قلت له ازداد بكاؤه. ثم قال ويحك: بالله شكوتني إليه وسألته أن يدعو علي. قلت كان ذلك، ولكنه قال: كذا، وكذا. وشرحت عليه ما قال. فقال: والله الساعة جاءني في منامي فقص علي ما ذكرت. وقد وفى بعهده، والله لا أمثلن أمره ولاصلن رحمى منك، كم دينك ؟ قلت: كذا. وكذا. فأمر بقضائه وقال: لا تبرح حتى أصلى وأعقد لك على دمشق. فانتظرت حتى وجبت الصلاة فاستدعاني فأظهر تكرمتي، وعقد لي لواء على دمشق، وأمر الناس فصاروا معي إلى منزلي فعاد جاهي وصلحت حالي * وقال: حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد، قال: حدثني أبو الحسين